موجبات العقاب الالهي في القرآن الكريم ـ دراسة موضوعية

زينة عادل سالم عبد
أ.د عامر عمران الخفاجي
جامعة بابل – كلية العلوم الإسلامية – قسم علوم القرآن

The Causes of Divine Punishment: Doctrinal Disbelief and Silence on Deviation

Zina Adel Salem Abdul
zinahadelalshamria@gmail.com
Prof. Dr. Amer Imran Al-Khafaji
Qur.amir.omran@uobabylon.edu.iq
University of Babylon – College of Islamic Sciences

الملخص

تعد مسألة العقاب الإلهي من القضايا المحورية في الدراسات العقدية والتفسيرية، حيث ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمبدأ العدالة الإلهية وسنن التدافع الاجتماعي. ومن أبرز موجبات هذا العقاب ظاهرتان متلازمتان تؤثران بشكل مباشر في مسار المجتمعات وتوازنها الأخلاقي والديني، وهما: الكفر العقائدي والسكوت عن الانحراف.

يمثل الكفر العقائدي رفض الحقائق الدينية المطلقة، سواءً كان ذلك من خلال الإنكار الصريح، أو الجحود المستتر الذي يتجلى في معاندة الحق رغم وضوح براهينه. ولا يقتصر أثر الكفر على الفرد فحسب، بل يمتد ليشمل المجتمع، حيث يؤدي إلى تفكك القيم الأخلاقية وانحراف السلوك الجمعي، مما يجعله سببًا رئيسًا للعقاب الإلهي وفق المنظور الديني.

أما السكوت عن الانحراف، فيعد صورة من صور التواطؤ غير المباشر مع الظلم والفساد، حيث يؤدي الصمت على الانحرافات الأخلاقية والفكرية إلى انتشارها وترسّخها، مما يسهم في فقدان المناعة المجتمعية ضد الظلم والفساد. إن غياب الوعي النقدي والرقابة الاجتماعية على الانحرافات يؤسس لبيئة قابلة للانحلال القيمي، مما يجعل الجماعة بأسرها عرضة للعقوبات الإلهية وفق السنن التاريخية التي تؤكد علاقة العقاب الجماعي بتراكم الانحرافات من دون تصحيح أو مقاومة.

إن دراسة هذه الظواهر من منظور علمي يفتح المجال لفهم أعمق لديناميات المجتمعات وتأثير العقائد والسلوكيات الجماعية في استقرارها أو انهيارها. ومن هنا، تبرز أهمية البحث في الأسس الفلسفية والاجتماعية لهذه المفاهيم، لاسيما في ظل التحديات المعاصرة التي تواجه القيم الدينية والأخلاقية في المجتمعات الحديثة.

ويتناول البحث هذه القضية من خلال مطلبين رئيسيين:

- المطلب الأول: الانحراف العقائدي، ويتناول صور الكفر العقائدي وأبعاده الفكرية والسلوكية، مع تحليل تأثيره على الأفراد والمجتمعات.

- المطلب الثاني: السكوت عن الانحراف، حيث يسلط الضوء على تحذير الشريعة من هذه الظاهرة لما لها من مسؤولية جماعية، ودورها في تحقيق العدالة الاجتماعية، وحماية المجتمع من الفساد، بالإضافة إلى بيان عواقبها الدينية وتأثيرها في استحقاق العقاب الإلهي.

ومن خلال هذا الطرح، يسعى البحث إلى تقديم رؤية متكاملة حول العلاقة بين العقيدة والسلوك، وتأثيرهما في تشكيل البنية المجتمعية وفق السنن الإلهية الحاكمة.

النتيجة التي يمكن استخلاصها من هذا الطرح هي:

أن الانحراف العقائدي والسكوت عن الانحراف يمثلان عاملين أساسيين في استحقاق العقاب الإلهي الجماعي، لما لهما من تأثير مباشر في تفكيك القيم الأخلاقية والدينية للمجتمع، مما يؤكد ضرورة التفاعل الواعي والنقدي مع الانحرافات لحماية المجتمع وفق السنن الإلهية.

Abstract

The Issue of divine punishment Is a central topic In doctrinal and exegetical studies, as It is closely linked to the principle of divine justice and the laws of social dynamics. Among the most significant causes of this punishment are two Interrelated phenomena that directly affect the course of societies and their moral and religious balance: doctrinal disbelief and silence on deviation.

Doctrinal disbelief represents the rejection of absolute religious truths, whether through explicit denial or Implicit obstinacy that manifests as opposition to the truth despite clear evidence. The impact of disbelief Is not limited to the Individual; rather, it extends to society, leading to the disintegration of moral values and the deviation of collective behavior. This makes it a primary cause of divine punishment from a religious perspective.

On the other hand, silence on deviation constitutes an indirect form of complicity with Injustice and corruption. Ignoring moral and intellectual deviations leads to their proliferation and entrenchment, weakening societal Immunity against oppression and moral decay. The absence of critical awareness and social accountability fosters an environment susceptible to ethical disintegration, making entire communities vulnerable to divine punishments. Historical patterns affirm that collective punishment is often a consequence of accumulated deviations that remain unchecked or unopposed.

Studying these phenomena from a scientific perspective provides a deeper understanding of societal dynamics and the impact of doctrines and collective behaviors on social stability or collapse. This highlights the Importance of examining the philosophical and social foundations of these concepts, particularly In light of contemporary challenges that threaten religious and moral values In modern societies.

Divine punishment, divine laws, doctrinal disbelief, moral deviation, silence on corruption, divine justice, collective punishment.

الكلمات المفتاحية: العقاب الإلهي، السنن الإلهية، الكفر العقائدي، الانحراف الأخلاقي، السكوت عن الفساد، العدالة الإلهية، العقاب الجماعي.

المقدمة

تمثل العقوبات الإلهية جزءًا من السنن الكونية التي تحكم مسار البشرية، وهي انعكاس لمبدأ العدالة الإلهية الذي يرتبط بأفعال الأفراد والمجتمعات. وقد تناولت الدراسات العقدية والتفسيرية مفهوم العقاب الإلهي من زوايا متعددة، حيث ركزت على العوامل التي تؤدي إلى استحقاقه، ومن أبرزها **الكفر العقائدي** و**السكوت عن الانحراف**. فالكفر العقائدي ليس مجرد رفض إيمان فردي، بل هو حالة فكرية وسلوكية تعكس موقفًا معاندًا للحقيقة الدينية، مما يؤدي إلى انحراف المجتمعات وسقوطها في دوامة التفكك الأخلاقي. وفي المقابل، فإن السكوت عن الانحراف يشكل تهديدًا لاستقرار المجتمع، حيث يؤدي إلى إضعاف القيم الإصلاحية ويعزز مناخًا يسمح بانتشار الفساد والانحلال، مما يجعله أحد العوامل التي تستوجب العقاب وفق السنن الإلهية.

تكمن أهمية هذه الدراسة في تحليل العلاقة بين هذه العوامل وسنن العقاب الإلهي، من خلال منظور يجمع بين البعد الفلسفي والشرعي والاجتماعي. كما تسعى إلى استقراء النماذج التاريخية التي توضح كيفية تفاعل المجتمعات مع هذه الظواهر، وما إذا كان التجاهل أو المعاندة يؤديان حتمًا إلى العقوبات الإلهية. ومن هنا، يهدف البحث إلى فهم أعمق للدور الذي تلعبه العقائد والسلوكيات المجتمعية في استحقاق العقاب أو تجنبه، مما يسهم في تقديم رؤية أكثر شمولية للسنن الإلهية الحاكمة لمسيرة الأمم.

ويتناول البحث هذه القضية من خلال **مطلبين رئيسيين:**

- **المطلب الأول: الانحراف العقائدي**، ويتناول صور الكفر العقائدي وأبعاده الفكرية والسلوكية، مع تحليل تأثيره على الأفراد والمجتمعات.
- **المطلب الثاني: السكوت عن الانحراف**، حيث يسلط الضوء على تحذير الشريعة من هذه الظاهرة لما لها من **مسؤولية جماعية**، ودورها في تحقيق **العدالة الاجتماعية**، وحماية المجتمع من الفساد، بالإضافة إلى بيان **عواقبها الدينية** وتأثيرها في استحقاق العقاب الإلهي.

ومن خلال هذا الطرح، يسعى البحث إلى تقديم رؤية متكاملة حول العلاقة بين العقيدة والسلوك، وتأثيرهما في تشكيل البنية المجتمعية وفق السنن الإلهية الحاكمة.

التمهيد

يُعَدُّ العقاب الإلهي أحد المفاهيم المركزية في الفكر الديني والفلسفي، حيث يمثل تجسيدًا لمبدأ العدالة الإلهية التي تتجلى في القوانين الحاكمة لسلوك الأفراد والمجتمعات. ويُنظر إلى العقاب بوصفه نتيجة طبيعية لسلوكيات تخرج عن إطار القيم الدينية والأخلاقية، مما يترتب عليه آثار تمتد عبر الأبعاد الفردية والجماعية. ومن بين هذه السلوكيات، يظهر الكفر العقائدي كأحد العوامل التي تؤدي إلى اختلال العلاقة بين الإنسان والخالق، مما ينعكس على منظومة القيم داخل المجتمع. كما أن السكوت عن الانحراف يسهم في تعزيز الفساد داخل المجتمعات، إذ إن غياب الموقف الإصلاحي الفاعل يؤدي إلى تطبيع الانحرافات، مما يجعل العقاب الإلهي نتيجة محتومة في إطار السنن الإلهية الحاكمة.

المطلب الاول: الكفر العقائدي

الكفر العقائدي يُعبَّر به عن حالة الرفض أو الإنكار للأصول الجوهرية التي يقوم عليها الإيمان بالله تعالى، وللحقائق الأساسية التي تُعدّ ركيزة الانتماء إلى الدين الإسلامي. ويتميّز هذا النوع من الكفر عن مجرد العصيان أو التردّد، كونه يمثل موقفًا صريحًا من رفض العقائد المركزية للعقيدة الإسلامية، وتجدر الإشارة إلى أن مصطلح "الإسلام" يأتي في السياقات المختلفة بمعنيين؛ فقد يُطلق بمعنى الإسلام الظاهري العام، وهو الذي يشمل مختلف الفئات: المؤمن الحقيقي، والمنافق، بل وحتى من يظهر الإسلام ظاهريًا مع مخالفته لأحكامه، فحينها يكون الكفر المقابل له كفرًا أصليًا وشرعيًا، ويترتب عليه أحكام خاصة، كاعتباره نجسًا، وعدم جواز الزواج منه، أو دفنه في مقابر المسلمين، أو الصلاة عليه، أو إرثه وما شابه من الأحكام الدنيوية، بينما يُطلق الإسلام أحيانًا بمعنى الإيمان الحقيقي، وهو الإسلام الذي شرّعه الله تعالى وبلّغه النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله وعليهم أجمعين، وهنا إذا قُرن بالكفر، يكون المقصود بالكفر في هذا السياق هو "الكفر العقائدي"، وهو يختلف في حكمه وآثاره عن الكفر الشرعي الأصلي السابق. فالكافر بهذا المعنى قد يُعامل في الدنيا معاملة المسلمين؛ من حيث الطهارة الظاهرية، وجواز التوارث والتزاوج، والدفن في مقابر المسلمين، وسائر الحقوق العامة كحقن دمه وصيانة ماله وعرضه، إلا أن الحساب النهائي لموقفه العقائدي يبقى عند الله تعالى يوم القيامة (١)

قال تعالى ﴿۞قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ١٤﴾ [الحجرات: ١٤] إن الإيمان الذي نُفي عن هؤلاء لا يُراد به الإسلام الظاهري الذي يشترك فيه كل من نطق بالشهادتين، بل المقصود به هو الإيمان الحقيقي المرتبط باليقين القلبي والتصديق العملي، وهو الإسلام الذي يمثل جوهر الانتماء العقائدي. وقد ورد عن النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله وعليهم أجمعين قوله: "ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة"، فبيّن أن الفرقة الناجية وحدها هي من تسلم من عذاب النار يوم

القيامة، مع أن جميع الفرق الأخرى قد نُسبت إليه بقوله "أمتي"، ما يدل على اعتبارها ضمن إطار الأمة المحمدية في الظاهر، أي في الأحكام الدنيوية، رغم استحقاقها للنار في الآخرة.

ومن هذا يتّضح أن الإسلام الظاهري قد يتقاطع مع الكفر الاعتقادي في بعض الحالات، إذ يمكن للإنسان أن يُظهر الإسلام لفظًا وشكلًا، لكنه يحمل في باطنه عقائد مناقضة للأسس الإيمانية. ومع ذلك، فإن هذا الإسلام الظاهري يمكن أن يسقط نهائيًا وتترتّب عليه أحكام الكفر الشرعي، إذا جحد الشخص أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة، كإنكار وجوب الصلاة أو تحريم الخمر، فمثل هذا الإنكار يُخرج الإنسان حتى من دائرة الإسلام الظاهري، ويجعله في عداد الكافرين الذين تجري عليهم الأحكام التشريعية في الدنيا، فضلًا عن عاقبة الآخرة. (٢) .

صور الكفر العقائدي:

١. إنكار وجود الله تعالى:

- يُعدُّ الإنكار المطلق لوجود الله، أو الاعتقاد بوجود إله آخر غيره سبحانه، من أبرز صور الكفر العقائدي، إذ يتعارض ذلك تعارضًا جوهريًا مع الركيزة الأولى في الإسلام، المتمثّلة في الشهادة بـ"لا إله إلا الله". ويتجلى هذا الإنكار في رفض الاعتقاد بوجود خالق لهذا الكون، للإنسان، وللوجود بأسره، وتتعدّد صوره ومظاهره بحسب الخلفيات الفكرية والمواقف الفلسفية للأشخاص، ومنها:
- الإلحاد الصريح: وهو اعتقاد ينفي وجود أي إله أو قوة خالقة تدبّر شؤون الكون. ويعتمد الملحدون في تفسير الوجود على مقاربات مادية صرف، يرون من خلالها أن القوانين العلمية والطبيعية كافية لتفسير كل الظواهر، من غير حاجة إلى الإيمان بخالق أو مصمّم أعلى.
- اللاأدرية (الشك): وتتمثل في موقف من التردد أو اللايقين بشأن وجود الله، حيث لا يُجزم اللاأدريون بوجوده ولا ينفونه تمامًا، معتبرين أن مسألة الإيمان أو النفي تقع خارج دائرة المعرفة القطعية، ومن ثمّ يمتنعون عن اتخاذ موقف حاسم.

- رفض الأديان: وفي هذا النمط لا يُنفى بالضرورة وجود قوة عليا أو خالق، ولكن يُرفض الانتماء إلى أي دين منظم، بدعوى أن الأديان، بما تقدّمه من تصوّرات عن الإله، ليست إلا نتاجًا تاريخيًا وثقافيًا يعكس ظروف المجتمعات، وليست تعبيرًا عن حقيقة مطلقة في ذاتها.

من الناحية الدينية، يعتبر إنكار وجود الله من أعظم الذنوب والكفر المخرج من الملة، وفقًا لمعظم الأديان التوحيدية، في الإسلام، من ينكر وجود الله يُعتبر خارجًا عن الإسلام ويترتب على ذلك أحكام دينية

ودنيوية محددة، وإنكار وجود الله يمكن أن يكون نتيجة لأسباب فلسفية أو علمية أو اجتماعية أو نفسية، وقد يترافق مع محاولات لتفسير الكون والحياة بدون وجود خالق . (٤)

يُعتبر الإدراك من الوظائف الأساسية التي تقوم بها الروح الإنسانية، إذ إن هذه الروح هي الجهة التي تُبصر، وتفهم، وتختار، وتُميّز بين المعاني. فحقيقة النظر والتفكير والتصور العقلي ما هي إلا تجليات مخلوقة لله تعالى، وهي محدودة بطبيعتها. ومن هذا المنطلق، يبدأ الإنسان بإدراك المطلق أولًا، أي إدراك وجود الله تعالى الخالق، ثم ينتقل من هذا الإدراك إلى التعرف على الكائنات والمحدودات من حوله. فلو لم تكن هناك حقيقة مطلقة قائمة بذاتها، لما أمكن للإنسان أن يُدرك شيئًا، بل لما وُجدت الرؤية أو حتى الشيء المرئي أصلًا، وبناءً على هذا، فإن وجود الله سبحانه يُعدّ أساس كل إدراك، ولا يمكن إنكار وجوده إنكارًا حقيقيًا حيث أن مجرد الإنكار في حد ذاته يُثبت وجود الله، لأن الإنكار فعل حادث، وكل فعل حادث لا بد له من علّة، فهو وجود تابع ومحتاج، لا يقوم بذاته. ومن هنا، فإن من ينكر وجود الله بلسانه، إنما يعبر عن حالة من الغفلة والجهل بحقيقة ما يقول، إذ إن ذلك الإنكار لا يُبطل الواقع، بل يُشير إليه ضمنًا. فالله تعالى هو الحقيقة المطلقة التي لا تقبل الإنكار العقلي أو الوجداني، بل هو أثبت في الوجود من كل المحسوسات، وأجلى من كل الظواهر المدركة(٥).

وفي الآية وجه آخر معقول يؤكده المنقول، وهو أن المراد من قوله ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ((هو أنها تنهى عن التعطيل والإشراك، والتعطيل هو إنكار وجود الله، والإشراك إثبات الألوهية لغير الله، فنقول التعطيل عقيدة فحشاء، لأن الفاحش هو القبيح الظاهر القبح، لكن وجود الله أظهر من الشمس، وما من شيء إلا وفيه آية على الله ظاهرة، وإنكار الظاهر ظاهر الإنكار))(٦) .

((ويُمكِنُ لِكُلِّ إنسانٍ واعٍ إدراكُ هذه الظَّواهِرِ الحِسِّيَّةِ والاقْتِناعُ بِدَلَالَاتِهَا وما تُومِئُ إليهِ، فلا يَبْقَى بعدَئِذٍ عُذْرٌ لأَحَدٍ في إنكارِ وجودِ اللهِ تعالى وتَوْحِيدِهِ وقُدرَتِهِ التي لا تُضَارَعُ ولا يَرْقَى لمثيلِهَا إنسانٌ، وهذا ما وُجِّهَت إليهِ الآياتُ الشَّرِيفَةُ قال تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ٣٧ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ٣٨ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ٣٩﴾ [فُصِّلَتۡ: ٣٧-٣٩])) (٧) .

لم يقتصر القرآن الكريم على عرض عدد من الأدلة التي تُظهر قدرة الله تعالى، بل تجاوز ذلك إلى بناءٍ عقائدي متكامل يهدف إلى ترسيخ الإيمان في أعماق النفس البشرية. فقد ساق الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أدلة متعددة وبراهين متنوعة تدلّ على عظمته في الخلق، وتُظهر قدرته الخارقة، وذلك لتثبيت ألوهيته وربوبيته وتوحيده في قلوب المؤمنين، وقد جاءت هذه الأدلة متكررة ومتنوعة، لتغلق أبواب

الشك والتكذيب، فلا تبقي لأحد عذرًا في إنكار وجود الله أو في إنكار سلطانه المطلق وهيمنته الكاملة، أو إنكار تفرده بإغداق النعم وتوفير سبل الحياة للإنسان، ظاهراً وباطناً. (٨)

من النماذج المعاصرة على إنكار وجود الله تعالى، رغم الإقرار الباطني والوجداني بهذه الحقيقة، ما يُلاحظ من سلوك بعض الأفراد الذين يُعرضون عن الحقائق الواضحة، ويُديرون أنظارهم عن شواهد وجود الله ودلائل عظمته. إن هذا النكران لا يُعبّر عن قصـــور في الذكاء أو القدرات العقلية، وإنما يُظهر خللًا في التوجّه الأخلاقي والروحي.

ففي كثير من الأحيان، يكون الدافع الحقيقي وراء رفض الإنسان للإيمان هو تضارب ذلك الإيمان مع رغباته ومصالحه الذاتية، إذ إن الاعتراف بوجود إله عظيم يُحتّم على الإنسان الخضوع الكامل له، ويستتبع ذلك تحمّله للمسؤولية الأخلاقية والعملية تجاه أفعاله، في الدنيا والآخرة، ولذلك، فإن تجاهل صوت الضمير، ورفض الاستجابة له، لا يُنقص من ذكاء الإنسان أو معرفته، بل يُوقعه في الضلال والانحراف، لأنه تجاهل الحقيقة التي يعرفها في داخله بدافع من الهوى والمصلحة الشخصية. (٩)

٢. إنكار نبوة محمد صلوات الله عليه وآله وعليهم أجمعين:

يُعدُّ إنكار نبوة النبي محمد صلوات الله عليه وآله وعليهم أجمعين، أو رفض الإيمان برسالته باعتباره خاتم الأنبياء، من أبرز صور الكفر العقائدي، إذ إن هذا الإنكار يُمثّل رفضًا لركيزة أساسية من أركان العقيدة الإسلامية. وتندرج تحت هذه الصورة أشكال متعدّدة، منها إنكار البعثة والرسالة الإلهية نفسها، فإنكار البعثة يعني رفض الإيمان بأن الله تعالى قد اختار من عباده رسلًا وأنبياءَ، بعثهم لهداية الناس وإبلاغهم شرائعه. وبحسب الرؤية الإسلامية، فإن النبوة تمثل وسيلة الاتصال الإلهي بالخلق، وهي القناة التي من خلالها يُنقل الوحي الإلهي المشتمل على العقائد، والأخلاق، والأحكام التي تضمن للإنسان سلوك الطريق القويم وفقًا لما يريده الله تعالى، فالأنبياء، بحسب المفهوم الإسلامي، هم رجال مصطفَون، بعثهم الله تعالى لدعوة الناس إلى توحيده، ولتعليمهم السُبل التي تمكّنهم من عيش حياة مستقيمة وأخلاقية، وبالتالي، فإن إنكار بعثتهم لا يُعد مجرد رفضٍ لأشخاصهم، بل هو رفضٌ لهداية الله تعالى ولرسالته، وهو ما يُخرج الإنسان من دائرة الإيمان، ويضعه في موقع معارضة للوحي الإلهي الذي يُعدّ أصلًا من أصول الدين الإسلامي. (١٠)

قال تعالى في آيات كثيرة: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠] ،﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ٤٢﴾ [الحج: ٤٢]

﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ﴾٣٣ [القمر: ٣٣] ﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ١٢٣﴾ [الشعراء: ١٢٣] ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ٢٣﴾ [القمر: ٢٣] ﴿وَلَقَدۡ كَذَّبَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡحِجۡرِ ٱلۡمُرۡسَلِينَ٨٠﴾ [الحجر: ٨٠] ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ١٢ ﴾ [ص: ١٢]

إن رفض التصديق بالأنبياء يعني عدم الإقرار بأن هؤلاء الرجال الذين بعثهم الله هم رسل مرسلون بوحي إلهي، وهذا الرفض يُعتبر نقضًا لركن أساسي من أركان الإيمان في الإسلام، ألا وهو الإيمان بالأنبياء، وهو من الأركان الستة التي لا يكتمل إيمان المسلم إلا بها، ويُوجب هذا الركن الإيماني الاعتقاد بجميع الأنبياء الذين بعثهم الله إلى البشرية، من أولهم آدم إلى خاتمهم محمد صلوات الله عليهم أجمعين، وأنهم جميعًا أدّوا رسالاتهم بأمر من الله وبلّغوا ما أُنزل إليهم من الوحي، أما إنكارهم أو التشكيك في بعثتهم، فيُعد إنكارًا لحكمة الله ورحمته بعباده، ورفضًا للفكرة الجوهرية التي تنص على أن الهداية الإلهية لا تتحقق إلا من خلال الرسل، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الموقف الرافض في قوله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ} [البقرة: ٩١] ويُعبّر هذا الإنكار عن موقف رافض للاعتراف بالحاجة إلى هداية إلهية مباشرة عبر رسل مختارين، وهو ما يتعارض بوضوح مع جوهر العقيدة الإسلامية، التي تُؤكد على أن الأنبياء هم القادة الروحيون والمربّون الذين بعثهم الله لإرشاد الناس وتوجيههم نحو الطريق المستقيم في العقيدة والسلوك. (١١)

إن إنكار المعجزات يُعدّ أحد أوجه رفض النبوة، إذ إن المعجزات تمثّل دليلاً مركزيًا في إثبات صدق الرسل، فهي خوارق للسنن الطبيعية يجريها الله تعالى على أيدي أنبيائه تأييدًا لهم وتصديقًا لرسالاتهم. ولهذا، فإن رفض هذه الآيات الإعجازية يُعدّ إنكارًا ضمنيًا لحقيقة النبوة نفسها، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الظاهرة في قوله تعالى:{وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَ} [الإسراء: ٥٩]، مبينًا أن التكذيب بالآيات الإلهية ليس أمرًا جديدًا، بل هو سلوك تكرر في الأمم السابقة، وفي السياق الإسلامي، يُعدّ القرآن الكريم أعظم معجزة للنبي محمد صلوات الله عليه وآله، إذ جاء بتحدٍّ إعجازي للبلاغة والعقل والفكر، وظل قائمًا إلى يومنا هذا، دالًا على صدق الرسالة النبوية، وإنكار المعجزات لا يقتصر على رفض الأحداث الخارقة، بل يتضمّن أيضًا التشكيك في قدرة الله تعالى على إمداد رسله بتلك الآيات، وهو ما يُعدّ خرقًا لركن أساسي في العقيدة، إذ يُنكر بذلك دور الله في تأييد أنبيائه وتوجيه البشر عبر دلائل واضحة تُثبت صدق الوحي. (١٢)

يُعد التكذيب بما جاء به النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله وعليهم أجمعين من مظاهر الكفر العقائدي، سواء أكان ذلك التكذيب متعلقًا بالقرآن الكريم بوصفه الكتاب السماوي المعصوم، أو بالسنة النبوية الشريفة التي تُعدّ المصدر الثاني للتشريع في الإسلام، فإنكار رسالة النبي يعني رفض ما أمر به الله تعالى، وتجاهل ما نزل إليه من الوحي الإلهي، وهو ما يشكل خروجًا صريحًا عن مقتضيات

الإيمان،وقد أشـــار القرآن الكريم إلى عواقب هذا التكذيب في قوله تعالى:{وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ} [الزخرف: ٧٦-٧٧]، دلالة على أن عذاب المكذبين لم يكن ظلمًا من الله، بل كان نتيجة إنكارهم واستهانتهم بما جاء به الرسول، والتكذيب في هذا السياق لا يقتصر على الرفض القولي، بل قد يتمثل أيضًا في الممارسات والسلوكيات التي تُخالف توجيهات النبي وتعاليمه، مثل رفض الالتزام بأوامر الشرع، أو تحريف مضامين الدين، أو الوقوف في وجه الأحكام الإلهية التي نقلها النبي إلى الأمة. فكل هذه الأفعال تُعد تعبيرًا عمليًا عن إنكار الرسالة، وتضع صاحبها في موقف معارض للإيمان الحق.(١٣)

٣.رفض الوحي والكتب السماوية والاعتقاد بتحريف القرآن:

في المنظومة العقدية الإسلامية، يُعد الإيمان بالوحي والكتب السماوية ركنًا أساسيًا من أركان الإيمان، إذ يُلزم المسلم بالإقرار بأن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، المُنزَّه عن التحريف والتبديل، وأن الكتب السابقة كالتوراة والإنجيل والزَّبور قد أنزلها الله تعالى على أنبيائه لهداية البشر، ويُعتبر إنكار هذا الأصل أو التشكيك فيه، سواء بإنكار كون القرآن كلام الله، أو بالاعتقاد بتحريفه أو تزويره، من صور الكفر العقائدي الذي يُعارض أحد الأصول الجوهرية في العقيدة الإسلامية، ويرتبط رفض الوحي برفض مجمل الرسالات التي أوحى الله بها إلى أنبيائه، ويتضمّن ذلك إنكار الكتب السماوية كافة، والتي تمثّل في الإسلام أدوات إلهية لهداية الإنسان، وتعليمه المبادئ الأخلاقية، وتنظيم شؤونه الدينية والدنيوية، فالإسلام يربط الإيمان بالكتب السماوية بالإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر، ويجعل من التصديق بهذه الكتب جزءًا لا يتجزأ من العقيدة الصحيحة التي يجب أن يتحلى بها كل مسلم، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ [الإسراء: ٥٩]، تُظهر هذه الآية أن رفض الآيات والكتب السماوية كان ولا يزال عقبة أمام الإيمان والهداية. (١٤)

يُعد الاعتقاد بتحريف القرآن الكريم أو تزويره خروجًا صريحًا عن العقيدة الإسلامية، إذ إن القرآن في التصور الإسلامي هو المعجزة الخالدة، وكلام الله المنزل، المحفوظ من التغيير والتبديل. وقد أكّد الله تعالى في محكم كتابه هذا الحفظ بقوله:{إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ} [الحجر: ٩]، وهو نصٌّ صريح يبيّن أن الله قد تكفّل بحفظ كتابه من كل عبث أو تحريف، ومن هنا، فإن القول بتحريف القرآن لا يُعد مجرد خطأ في الفهم، بل يُمثل في جوهره تكذيبًا بوعد إلهي قاطع، وإنكارًا لأحد المبادئ الأساسية التي يقوم عليها الإيمان فالإيمان بتمام القرآن وسلامته من التحريف يُشكّل الأساس الذي تُبنى عليه العقيدة والشريعة معًا، وإذا فُقد هذا الإيمان، تزعزع اليقين بصحة الشريعة وأحكامها، بل وتُقوّض الثقة بالمصدر الإلهي الذي تستند إليه الرسالة الإسلامية في كليّتها. (١٥)

الآثار المترتبة على رفض الوحي والاعتقاد بتحريف القرآن: (١٦)

- الخروج من دائرة الإيمان: إن الاعتقاد بتحريف القرآن الكريم يُفضي إلى الخروج من إطار الإيمان الإسلامي، لما في هذا الاعتقاد من تناقض صريح مع الشهادتين، لا سيّما شهادة أن "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، التي تقتضي الإيمان الكامل بكلام الله تعالى كما نُزّل وحُفِظ في القرآن الكريم.
- الانحراف العقائدي والفكري: هذا النوع من الإنكار يُنتج انحرافًا في البنية الفكرية والعقائدية للفرد، ويُبعده عن المنهج الإلهي الذي رسمه الله للبشر من خلال رسالاته، فيبتعد بذلك عن الحق ويقع في مسالك الضلال.
- فقدان الهداية الإلهية: تُعد الكتب السماوية – وعلى رأسها القرآن الكريم – منارات للهداية والنور، ووسائل إلهية لتوجيه الإنسان في حياته. وإنكارها أو رفضها يعني إغلاق باب الهداية، والوقوع في التيه العقدي والعملي.
- تشويه صورة الإسلام: إن الاعتقاد بتحريف كتاب الله يُفضي إلى تقويض الثقة بالإسلام ذاته، ويُظهره – في أعين البعض – دينًا عاجزًا عن حفظ نصوصه ومصادره، مما ينعكس سلبًا على صورة الدين أمام أتباعه والناس عامة، وقد يدفع بالبعض إلى التشكيك أو الارتداد والانصراف عن الالتزام الديني.

يتّضح لي أن رفض الوحي الإلهي أو إنكار الكتب السماوية، وعلى وجه الخصوص الاعتقاد بتحريف القرآن الكريم، يُعدّ مخالفة صريحة لأصول العقيدة الإسلامية، وخروجًا عن أحد أركان الإيمان التي لا يصح الإيمان بدونها، فالإسلام يُؤكّد على وجوب الإيمان بجميع الكتب التي أنزلها الله تعالى، وعلى رأسها القرآن الكريم، بوصفه الكتاب الخاتم، والكلام الإلهي الذي تكفّل الله بحفظه من كل تحريف أو تبديل. ومن هنا، فإن أي تشكيك في مصدرية هذه الكتب أو سلامتها من التغيير يُعدّ تقويضًا لمبدأ أساسي من مبادئ الإيمان، ونقضًا لعهد التصديق بالوحي والرسالة الإلهية

٤. الطعن في أركان الإسلام:

تُعدّ أركان الإسلام الخمسة الأساس العملي الذي يُقام عليه البناء الديني للمسلم، وهي: الشهادتان (الإقرار بوحدانية الله ورسالة محمد صلوات الله عليه وآله وعليهم أجمعين)، الصلاة، الزكاة، الصوم، والحج. وهذه الأركان ليست مجرد طقوس أو شعائر شكلية، بل تُعبّر عن التزام عملي شامل يُجسد انتماء المسلم لدينه، ويُترجم إيمانه إلى سلوك ملموس، وإنكار أيٍّ من هذه الأركان، أو التشكيك في مشروعيتها ووجوبها، يُعدّ خرقًا واضحًا للعقيدة الإسلامية، ويقع ضمن دائرة الكفر العقائدي، لأن هذه الفرائض فرضها الله تعالى على كل مسلم بالغ عاقل، وجعلها من أصول الممارسة الدينية، ومن جهة أخرى، فإن لهذه

الأركان أبعادًا متعددة تتجاوز الجانب العبادي إلى الجوانب الأخلاقية والاجتماعية والاقتصـــادية، حيث تُسهم في تهذيب النفس، وتقوية الصلة بالله تعالى، وترسيخ القيم الإسلامية في العلاقات بين الأفراد داخل المجتمع. فكل ركن منها يُسـهم في تربية المسـلم على المسؤولية والانضـباط، وفي بناء مجتمع متماسـك تسوده العدالة والتكافل والتقوى. (١٧)

مفهوم أركان الإسلام: (١٨)

- الشـــهادتان: تمثّلان المدخل الأســـاســـي إلى الإســـلام، وهما إعلان الإيمان بوحدانية الله تعالى وبالرسالة المحمدية الخاتمة. فشهادة أن "لا إله إلا الله، محمد رسول الله" تُعبّر عن الإقرار القلبي واللفظي بوحدانية الخالق، والإيمان الصـادق برسـالة النبي الأكرم صـلوات الله عليه وآله وعليهم أجمعين.
- الصـلاة: وهي العبادة المفروضـة يوميًا على كل مسلم بالغ، وتشكّل الصـلة الروحية المباشرة بين العبد وربه. تؤدي الصلاة دورًا محوريًا في تزكية النفس وتنقية القلب، وتحفظ المسلم من الانحراف والانشغال بالباطل، كما تُعدُّ وسيلة دائمة للانضباط الأخلاقي والروحي.
- الزكاة: وهي فريضـــة مالية تعبّر عن البعد الاجتماعي والاقتصـــادي في الإســـلام، إذ تســـهم في تحقيق مبدأ التكافل، وتُعيد التوازن في توزيع الثروات، وتُســـاعد على تخفيف معاناة المحتاجين، مما يعزز التراحم والاستقرار داخل المجتمع الإسلامي.
- الصـوم: وهو عبادة تُزكّي النفس وتُهذب الجسـد، وتُغرس في المسـلم خصـلة التقوى والانضـباط الذاتي، من خلال الامتناع عن الشهوات والملذات ضمن إطار من الطاعة والخشوع.
- الحج: وهو الركن الخامس، يُؤدى إلى بيت الله الحرام مرة واحدة في العمر لمن اســـتطاع إليه سبيلًا، ويُمثّل مظهرًا من مظاهر وحدة الأمة الإسلامية، حيث يجتمع المسلمون من شتى الأقطار على عبادة واحدة وشعائر موحدة، في تأكيد على المساواة والخضوع الكامل لله تعالى.

الطعن في أركان الإسلام: (١٩)

إن الطعن في أركان الإســـلام الخمســـة أو إنكارها يُعد خروجًا عن دائرة الإســـلام، إذ تمثّل هذه الأركان الأساس الذي يقوم عليه البناء العملي للدين، وإنكار أيٍّ منها يُعد تقويضًا لهذا البناء العقدي والشرعي.

- الطعن في الشـــهادتين: يُعد الشـــك أو الإنكار في مضـــمون الشـــهادتين – "لا إله إلا الله، محمد رســـول الله" – نقضًـــا لمفتاح الدخول في الإســـلام، إذ تمثلان جوهر العقيدة والتوحيد. فرفض الشهادتين يُعبّر عن إنكار الأساس الذي يقوم عليه الدين، ويُخرج الإنسان عن الملة.
- الطعن في الصلاة: الصلاة هي الركن العملي الأول من بعد الشهادتين، وهي الصلة اليومية بين العبد وربه. وإنكار فرضـيتها أو التشـكيك في ضـرورتها يُعد تفريطًا في عماد الدين. وقد ورد عن

النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله وعليهم أجمعين قوله: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة" [صحيح مسلم، الحديث: ٨٢]، مما يدل على خطورة تركها أو إنكارها.

- الطعن في الزكاة: الزكاة تمثّل بُعدًا اجتماعيًا في الإسلام، إذ تسهم في تحقيق العدالة والتكافل داخل المجتمع. وإنكار وجوبها يُعد مخالفة صريحة لنصوص الشرع، وقد عُرف في التاريخ الإسلامي أن الخليفة الأول قاتل مانعي الزكاة بعد وفاة النبي باعتبارهم خرجوا عن طاعة الشريعة.
- الطعن في الصوم: صوم شهر رمضان فريضة لها أثر روحي وتربوي عميق، حيث تُهذّب النفس وتُنمّي التقوى. وإنكار هذه العبادة أو التهوين من شأنها يُعدّ رفضًا لركن أساسي من أركان الإسلام، ويُضعف التزام المسلم بقيم الطاعة والانضباط.
- الطعن في الحج: الحج هو المظهر الجامع لوحدة المسلمين، وموسم التعبير عن الخضوع التام لله، ورفضه أو إنكار ضرورته يُعد رفضًا لركن صريح من أركان الإسلام التي أكد عليها القرآن والسنة، وهو يُفضي إلى خلل واضح في بنية الالتزام الديني.

الآثار المترتبة على الطعن في أركان الإسلام :

يُعد إنكار أحد أركان الإسلام الخمسة أو الطعن فيها خروجًا صريحًا عن الإسلام، لما في ذلك من رفض لعنصر جوهري من مكونات الالتزام الديني. فهذه الأركان لا تُعبّر فقط عن ممارسات ظاهرية، بل تُجسّد جوهر الانتماء إلى الإسلام، وتشكل الإطار العملي الذي يُترجم الإيمان إلى واقع ملموس.

ومن ثمّ، فإن إنكار أي ركن منها لا يُعد رفضًا جزئيًا فحسب، بل يُمثّل في حقيقته نقضًا لمنظومة الإسلام بأكملها، ويقع في دائرة الكفر العقائدي الذي يُخرج صاحبه عن حدود الملة الإسلامية. (٢١)

إن الطعن في أركان الإسلام أو إنكارها لا يُعدّ مجرد مخالفة شرعية، بل يدلّ أيضًا على انحراف في الفهم الديني وخلل في البنية الفكرية للعقيدة. فرفض هذه الأركان يكشف عن غياب التصور السليم لمفهوم الإسلام، ويقود صاحبه إلى ضلال فكري وديني يُبعده عن الطريق المستقيم الذي رسمه الله تعالى لعباده، ولذلك، فإن من يُنكر الأركان الأساسية للدين يُوصَف بالضلال والخروج عن الهدي الرباني، لأنه فقد بوصلة الهداية، وانقطع عن المنظومة العقدية التي تحفظ للإنسان توازنه الروحي والسلوكي ضمن الإطار الإسلامي الصحيح. (٢٢)

التفكك الاجتماعي: تمثل أركان الإسلام دعائم الوحدة الدينية والسلوكية في حياة المسلمين، إذ تُسهم في توجيههم نحو عبادة موحّدة، وسلوك أخلاقي منسجم، وممارسة عملية تكرّس قيم التضامن والتكافل. ولذلك، فإن إنكار هذه الأركان لا يقتصر أثره على البُعد الفردي، بل يمتد إلى البنية الاجتماعية للأمة،

حيث يؤدي إلى تفكك الروابط الجماعية، ويُضعف الانتماء المشترك، ويُفضي في النهاية إلى انحراف المجتمع عن المبادئ التوحيدية والأخلاقية التي أرساها الإسلام.

العقوبة الأخروية: ووفقًا للعقيدة الإسلامية، فإن الطعن في أركان الإسلام يُعد من الكبائر العقدية التي تستوجب العقوبة في الآخرة، ما لم يُبادر صاحبها إلى التوبة والعودة الصادقة إلى الإيمان. إذ يُعتبر هذا الإنكار بمثابة نقض للعهد الإلهي، وتجاوز على ما فرضه الله تعالى على عباده، وهو ما يترتّب عليه حساب شديد يوم القيامة، كما ورد في العديد من النصوص القرآنية والروائية.

تُعد أركان الإسلام الخمسة بمثابة العمود الفقري للعقيدة الإسلامية، إذ يقوم عليها البناء العملي للإيمان، ويُعد الالتزام بها شرطًا أساسيًا في انتماء المسلم إلى دينه. فالإيمان بهذه الأركان والعمل بمقتضاها ليس خيارًا، بل هو ضرورة دينية لا يجوز التهاون بها أو التعدي عليها، وإن الطعن في أيٍّ من هذه الأركان يُعرّض الإنسان لخطر الخروج من دائرة الإسلام، ويُمهّد الطريق إلى الضلال والانحراف عن الهدي الرباني. ومن هنا، فإن المحافظة على هذه الأركان والتمسّك بها قولًا وعملاً، هو ما يُبقي المسلم على الصراط المستقيم، ويُرسّخ انتماءه للعقيدة الصحيحة التي أرادها الله لعباده.

يُعد الكفر العقائدي من أخطر أشكال الكفر، إذ يتمثل في الاعتقاد القلبي الذي يتعارض جوهريًا مع المبادئ الأساسية للعقيدة الإسلامية، كما قد يظهر هذا النوع من الكفر في الأقوال أو الأفعال التي تعكس مضمونًا مخالفًا للإيمان، فالشخص الذي يعتقد في قلبه بأن الإسلام ليس هو الدين الحق، أو ينكر وجود الله تعالى، يُعد قد وقع في الكفر العقائدي، حتى وإن لم يُفصح عن ذلك صراحة، كما أن التصريح بإنكار أصول الدين أو القيام بأفعال تدلّ على رفضها يُعد تعبيرًا صريحًا عن هذا النوع من الكفر، الذي يُخرج صاحبه من دائرة الإسلام بشكل كامل، ويُرتّب عليه عقوبات إلهية جسيمة في الدنيا والآخرة، ويُنظر في الإسلام إلى الكفر العقائدي باعتباره تمردًا صريحًا على النظام الإلهي، ورفضًا للهداية الربانية التي بُعث بها النبي محمد صلوات الله عليه وآله وعليهم أجمعين، ولذلك يُطالب الإسلام أتباعه بالمحافظة على العقيدة السليمة، والإيمان الراسخ بكل ما أتى به الرسول، دون تشكيك أو تردّد في أصول الدين. إذ إن الانحراف عن هذه الأصول قد يُفضي إلى الوقوع في الكفر العقائدي وما يتبعه من آثار عقدية وأحكام إلهية حاسمة. (٢٣)

المطلب الثاني : السكوت عن الانحراف :

في السياق الإسلامي، يُعد السكوت عن مظاهر الانحراف دليلاً على غياب التفاعل الإيجابي وافتقاد روح المبادرة في التصدي للأفكار والسلوكيات المنافية للتعاليم والقيم الإسلامية. هذا الصمت السلبي، الذي يظهر في الامتناع عن اتخاذ موقف صريح أو القيام بعمل فعلي لمجابهة الانحراف، قد نالت منه النصوص الإسلامية حظاً من التحذير والتنبيه. ومن منظور الفقه الإسلامي، فإن التزام الصمت

إزاء الانحراف يُعد نوعاً من التواطؤ غير المعلن مع مظاهر الفساد أو الظلم، ولا يقتصر مفهوم السكوت هنا على الامتناع عن الكلام فقط، بل يشمل أيضاً التقاعس عن اتخاذ خطوات عملية كالنصيحة أو التنبيه أو المبادرة إلى مواقف إصلاحية واضحة. (٢٤)

تُعدّ الشريعة الإسلامية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الركائز الأساسية للدين، وميزانًا يُقاس به مدى التزام المسلم بمسؤولياته الدينية والاجتماعية. وقد ورد تأكيد هذا المبدأ في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، التي أوضحت أن هذا الواجب الشرعي يلعب دورًا محوريًا في صيانة بنية المجتمع وحمايته من التدهور والانحلال الأخلاقي. وقد بُيّن في النصوص أن هذا الواجب يتدرج بحسب القدرة: فإن استطاع المسلم التغيير باليد فعليه أن يفعل، وإن لم يتمكن وخشي على نفسه الضرر، انتقل إلى التغيير باللسان، فإن تعذر ذلك، بقي عليه إنكار المنكر في قلبه، وهو أضعف الإيمان (٢٥)

قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ٧٩﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩] هذه الآية يتضح لهم سبيل النجاة من الطريق المنحرف الذي سلكوه، ويتمثل ذلك في أن الإيمان الحقيقي بالله ورسوله وما أُنزل عليه، يحول دون إقامة علاقات ولاء أو صداقة مع أعداء الله. فلو كان إيمانهم صادقًا، لما لجؤوا إلى اتخاذهم أولياء أو وضع الثقة فيهم. غير أن المؤسف في الأمر أن الملتزمين بأوامر الله قلة قليلة، بينما الغالبية العظمى قد تجاوزوا حدود الطاعة وسلكوا دروب الفسق والانحراف. (٢٦)

الأسس الدينية والشرعية للموقف من السكوت عن الانحراف :

تعتمد الشريعة الإسلامية في تحذيرها من السكوت عن الانحراف على عدد من الأسس الدينية والشرعية، منها:

١. **المسؤولية الجماعية** : يُعدّ المجتمع في الإسلام كياناً متكاملاً، وأي تقصير في أداء الواجبات الشرعية، مثل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يؤدي إلى تحميل المجتمع بأكمله مسؤولية هذا التقصير. قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥]. هذه الآية تحذر من الفتنة التي قد تصيب المجتمع بأسره نتيجة سكوت البعض عن المنكر أو الانحراف، روي أن الله تعالى((أوحى إلى شعيب (عليه السلام): إني معذب من قومك مائة ألف؛ أربعون ألفًا من شرارهم، وستون ألفًا من خيارهم. فقال شعيب (عليه السلام): يا رب، هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه: إنهم داهنوا أهل المعاصي، ولم يغضبوا لغضبي.)) (٢٧)
٢. **تحقيق العدالة الاجتماعية:** إن التغاضي عن مظاهر الانحراف يُفضي إلى غياب العدالة وشيوع الظلم، وهو أمر يتنافى مع المبادئ الإسلامية التي تؤكد على ضرورة ترسيخ العدل والمساواة.

ومن أبرز العوامل المؤدية إلى هذا الانحدار ضعف الإيمان أو الكفر، إذ يفقد الأفراد شعورهم بالمسؤولية، ويتجاهلون القيم الأخلاقية ويتعدّون على النظام. كل ذلك يُسهم في زعزعة الاستقرار الاجتماعي وتفكيك أواصر المجتمع، مما يُضعف الثقة المتبادلة بين أفراده، ويُهدر القدرات البشرية والموارد الاقتصادية، ويؤدي إلى اضطراب منظومة العدالة الاجتماعية، ومن الطبيعي أن يواجه المجتمع الغارق في مثل هذه الأوضاع حالة من الانحدار السريع نحو الفوضى والانهيار. (٢٨)

٣. **حماية المجتمع من الفساد:** يُرسي الإسلام دعائمه لبناء مجتمع يرتكز على المبادئ الأخلاقية والقيم الرفيعة، ومن هذا المنطلق فإن الصمت إزاء الانحراف يُعد تغاضيًا عن بوادر الفساد، مما يُمهّد لانتشاره ويُسهم في تآكل المنظومة القيمية والأخلاقية. ومع استمرار هذا الإهمال، يصبح المجتمع مهددًا بالتفكك والانهيار.

٤. العواقب الدينية والدنيوية للسكوت عن الانحراف: (٢٩)

١. **العقوبات الإلهية:** وفقاً للتعاليم الإسلامية، العقوبات الإلهية قد تنزل على المجتمع بأكمله إذا عمّ الفساد وانتشر الانحراف، ولم يكن هناك من يقوم بواجب النهي عن المنكر. يُشير القرآن الكريم إلى أن الله يعاقب ليس فقط الذين يفعلون المنكر، بل أيضاً الذين يسكتون عنه. كما جاء في قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ٧٩﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

٢. **تدهور القيم والمبادئ:** السكوت عن الانحراف يسمح بتطبيع السلوكيات الخاطئة وجعلها مقبولة اجتماعياً، هذا يمكن أن يؤدي إلى تغير تدريجي في القيم والمبادئ، مما يُهدد الأسس الأخلاقية والثقافية للمجتمع.

٣. **المسؤولية الفردية والأخروية:** كل إنسان في المنظور الإسلامي مسؤول عن أفعاله، كما يُسأل عن مواقفه، خصوصًا إذا توانى عن التصدي للمنكر وكان قادرًا على التغيير. فالامتناع عن مواجهة الانحراف يُعدّ تقاعسًا عن أداء الواجب الشرعي، وقد يترتب عليه تبعات أخروية، إذ لا يُعفى الإنسان من الحساب لمجرد صمته إذا كانت لديه القدرة على الإصلاح.

ارى من الناحية الاجتماعية، السكوت عن الانحراف يُعدّ عاملاً مساهماً في تفكك النسيج الاجتماعي وزيادة التفكك الاجتماعي، عند السكوت عن سلوكيات غير أخلاقية أو تصرفات تضر بالمجتمع، تنتشر هذه السلوكيات وتصبح مألوفة، مما يؤدي إلى تغيير تدريجي في معايير المجتمع ومبادئه، و السكوت عن الانحراف في الشريعة الإسلامية ليس مجرد موقف سلبي، بل هو تجاهل لواجب شرعي هام يعزز

الاستقامة ويحمي المجتمع من الفساد والانحراف، ومن الناحية الأكاديمية، يُعدّ هذا السكوت مسألة ذات أبعاد دينية واجتماعية ونفسية معقدة، و تتطلب فهماً عميقاً للتعاليم الإسلامية وللآليات التي تؤدي إلى تعزيز قيم الإصلاح والاعتدال داخل المجتمعات.

لتحقيق الاستفادة الأكاديمية المطلوبة حول موضوع السكوت على الانحراف والعقوبة الإلهية، يمكن التركيز على النقاط التالية:

١. **مفهوم الانحراف الاجتماعي:** في الإسلام، يُعرَّف الانحراف بأنه الابتعاد عن الشريعة والقيم الإسلامية، مثل الانحراف العقدي، والانحراف الأخلاقي، والانحراف في الممارسات الاجتماعية، و يُعتبر الانحراف انتهاكًا لأوامر الله ويتطلب تدخلًا وتصحيحًا فوريًا.

٢.**العقوبات على السكوت عن الانحراف:** الإسلام يعاقب على السكوت عن المنكرات والانحرافات. إذا لم يقم المجتمع الإسلامي بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه يتعرض لعقوبات إلهية. هذه العقوبات يمكن أن تكون دنيوية، مثل الحدود، أو أخروية.

٣. **الدور الوقائي للتعليم الإسلامي:** يلعب التعليم الإسلامي دورًا محوريًا في الوقاية من الانحرافات من خلال غرس القيم الدينية والأخلاقية في الأفراد منذ الصغر، والتعليم الإسلامي يعزز من وعي الأفراد بأهمية التصدي للانحرافات وعدم السكوت عليها.

٤. **أهمية الخدمات الاجتماعية:** تُعتبر الخدمات الاجتماعية جزءًا من الجهود المبذولة لمكافحة الانحرافات. تهدف هذه الخدمات إلى تعزيز التماسك الاجتماعي من خلال دعم الفئات الضعيفة والمعرضة للانحراف، وتوفير الرعاية والدعم النفسي والاجتماعي لهم.

٥. **تأثير السكوت على الانحرافات:** السكوت عن الانحراف يؤدي إلى تفاقم الوضع الاجتماعي والروحي للمجتمع. يُعتبر ذلك خيانة للأمانة التي كلف الله بها المسلمين، مما يؤدي إلى تدهور العلاقات الاجتماعية وزيادة الفساد.

٦. **أمثلة تاريخية:** تُظهر الأمثلة التاريخية من العصر الإسلامي الأول كيف تم التعامل مع الانحرافات بصرامة، وذلك لتطبيق العدالة والحفاظ على القيم الدينية، و كان يتم تنفيذ العقوبات بشكل علني لضمان ردع الأفراد ومنع تكرار المخالفات.

٧. **الرؤية الإسلامية للتعامل مع الانحرافات:** تعتمد الرؤية الإسلامية على شمولية النهج في التعامل مع الانحرافات، حيث يتم الجمع بين العقوبات الشرعية، والتربية الدينية، والخدمات الاجتماعية لضمان معالجة شاملة للانحرافات.

٨. **العقوبات الإلهية كوسيلة ردع:** تهدف العقوبات الإلهية إلى ردع الأفراد عن الانحراف وإعادتهم إلى الطريق المستقيم، و الإسلام يعتبر أن هذه العقوبات هي بمثابة تطهير للمجتمع وللأفراد من الذنوب والانحرافات.

٩. **أهمية المشاركة المجتمعية:** يشدد الإسلام على أهمية المشاركة المجتمعية في مواجهة الانحرافات، ويجب أن يتعاون جميع أفراد المجتمع، بما في ذلك العلماء، والقادة، والأفراد العاديين، في مكافحة الانحرافات لضمان سلامة واستقرار المجتمع.

١٠. **التكامل بين الجهود الدينية والاجتماعية:** لتحقيق معالجة فعالة للانحرافات، يجب أن تتكامل الجهود الدينية مع الجهود الاجتماعية والاقتصادية لضمان تحقيق التنمية المستدامة ومنع الانحرافات.

هذه النقاط تستند إلى توجيهات الإسلام فيما يتعلق بمعالجة الانحرافات والسكوت عنها، وتظهر كيفية تعامل المجتمع الإسلامي مع هذه القضايا بشكل شامل ومتكامل.

الخاتمة

١. يتبيّن أن الكفر العقائدي يُعد من أبرز الموجبات التي تستدعي العقاب الإلهي، لما يتضمنه من رفض جوهري للحقائق الإيمانية المطلقة، كإنكار وجود الله، أو الرسالة، أو التشكيك في الوحي والقرآن الكريم. وتكمن خطورته في كونه لا يقتصر على أثره الفردي، بل ينعكس على بنية المجتمع بأسره، حيث يؤدي إلى تفكك القيم وتلاشي الضوابط الأخلاقية، مما يهيّئ لوقوع العقوبة الإلهية وفق القوانين الربانية الثابتة.

٢. كما يُعد السكوت عن الانحراف أحد العوامل الأساسية في استحقاق العقوبة، إذ يُمثّل تواطؤًا غير مباشر مع الباطل، ويُسهِم في تطبيع الفساد داخل البنية الاجتماعية، ويؤدي إلى تآكل الحس الديني والمسؤولية الجماعية. وقد ترتّبت على هذا السكوت في التجارب التاريخية آثار جسيمة كان من أبرزها نزول العقوبات الجماعية على أمم سابقة.

٣. تؤكد الوقائع أن العلاقة بين العقيدة والسلوك علاقة مترابطة ومؤثرة، فكل انحراف في المعتقد لا بد أن يُنتج سلوكًا منحرفًا، والعكس صحيح، مما يجعل العقوبة الإلهية ناتجة عن خلل مزدوج يمس الفكر والممارسة معًا، وهو ما يُبرز البعد الشامل لمسؤولية الإنسان أمام الخالق.

٤. تُبرز المعالجة الإسلامية للظواهر العقدية والسلوكية منظورًا وقائيًا فاعلًا يقوم على تفعيل منظومة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتربية الدينية، والمشاركة المجتمعية في الإصلاح، بوصفها أدوات تحفظ المجتمعات من التردي والانهيار، وتُسهِم في اتقاء موجبات العقوبة الربانية.

الهوامش

١. موقع مركز الابحاث العقائدية، الأسئلة العقائدية،٣٠٥٤.
٢. مركز الابحاث العقائدية، الأسئلة العقائدية،٣٠٥٥.
٣. ينظر: صدر الدين الشيرازي، الاسفار الاربعة، ٣/٢٥٦-٢٨٧.
٤. ينظر: ابن سينا، الهيات الشفاء، ٢/٣٥٦-٣٦٠.
٥. جوادي املي، الحكمة عند الامام علي في نهجه،٢.
٦. الرازي، مفاتيح الغيب، ٢٥/٦٥.
٧. وهبه بن مصطفى الزحلي، التفسير الوسيط، ٣/٢٣٠٩.
٨. وهبه بن مصطفى الزحلي، التفسير الوسيط، ٢/١٢٤٦.
٩. هارون يحيى، أهمية الضمير في القران، ١١.
١٠. ينظر: القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ٩٦-١٠٠.
١١. ينظر: الطباطبائي، الميزان في تفسير القران، ٢/٣٧٠-٣٧٥.
١٢. ينظر: البيهقي، دلائل النبوة ، ٥٠-٦٠.
١٣. ينظر: الشوكاني، فتح القدير، ٤/٥٠٠-٥٠٥.
١٤. ينظر: ابن ابي الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ١/٢٠٠-٢١٠.
١٥. ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القران، ١/٢٣٤-٢٣٦.
١٦. ينظر: المصدر نفسه، ١/٢٣٧-٢٤٢.
١٧. ينظر: محمد بن صالح العثيمين، شرح ثلاثة الاصول، ٣٧-٤٠.
١٨. ينظر: عبد الرحمن الجزائري، الفقه على المذاهب الاربعة ، ٤٥-٨٥.
١٩. ينظر: عبد الرحمن الجزائري، الفقه على المذاهب الاربعة ، ٤٥-٨٥.
٢٠. مسلم بن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، ١/٨٨.
٢١. ينظر: الايجي، المواقف، ٢٤٠.
٢٢. ينظر: الطبرسي، الاحتجاج، ١/١٤٢-١٤٥.
٢٣. ينظر: الشهرستاني، الملل والنحل،١/ ٧٢-٧٥.
٢٤. ينظر: الغزالي، احياء علوم الدين، ٢/٣٠٧.
٢٥. الجصاص، احكام القران، ٢/٣٨.
٢٦. ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤/١١٧.
٢٧. الخولنساري، جامع المدارك، ٥/٤٠٠.
٢٨. ينظر: ناصر مكارم الشيرازي، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٩/٥٦.
٢٩. ينظر: سيد قطب، في ظلال القران، ١/٢٧

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الإيجي، عضـــد الدين، المواقف في علم الكلام، تحقيق عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٧م.
٢. البيهقي، أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٣. الجصـــاص، أحمد بن علي، أحكام القرآن، تحقيق محمد صـــادق القمحاوي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٤. جوادي آملي، عبد الله، الحكمة عند الإمام علي في نهجه، الطبعة الأولى، مركز النشـــر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٤٢٠هـ.
٥. الخولساري، محمد بن علي، جامع المدارك في شرح مختصر النافع، تحقيق محمود المرعشي، الطبعة الأولى، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٥هـ.
٦. الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب، تحقيق عبد القادر شـــريف، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.
٧. الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٦هـ.
٨. سيد، قطب، في ظلال القرآن، الطبعة الخامسة، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٠م.
٩. ابن سينا، الحسين بن عبد الله، الإلهيات من كتاب الشفاء، تحقيق إبراهيم مدكور وعبد الحليم منتصر وسعيد زيدان، الطبعة الأولى، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٠م.
١٠. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، الطبعة الأولى، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.
١١. الشـــوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ.
١٢. الشيرازي، صدر الدين محمد، الأسفار الأربعة، تحقيق أحمد أحمدي، الطبعة الأولى، منشورات بيدار، طهران، ١٣٨٣هـ.
١٣. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، تحقيق مكتب الإعلام الإسلامي، الطبعة الخامسة، منشورات جماعة المدرسين، قم، ١٤١٧هـ.
١٤. الطبرسي، أحمد بن علي، الاحتجاج، تحقيق سيد محمد باقر الخرسان، الطبعة الأولى، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٣٨٦هـ.

١٥. الجزائري، عبد الرحمن، الفقه على المذاهب الأربعة، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٩م.
١٦. ابن أبي العز، علي بن علي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ.
١٧. الغزالي، محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، تحقيق محمد المهدي بن علي السيسي، الطبعة الثانية، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٧هـ.
١٨. عياض، القاضي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق محمد شاكر العطار، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٦هـ.
١٩. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٧٥هـ.
٢٠. العثيمين، محمد بن صالح، شرح ثلاثة الأصول، الطبعة الأولى، دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٤هـ.
٢١. مركز الأبحاث العقائدية، الأسئلة العقائدية، الطبعة الأولى، مؤسسة نشر الفقاهة، قم، ١٤٢٢هـ.
٢٢. مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الطبعة الأولى، مركز الدراسات الإسلامية التابع لمكتب التعاون بين الحوزة والجامعة، قم، ١٤١٠هـ.
٢٣. هارون، يحيى، أهمية الضمير في القرآن، الطبعة الأولى، دار نشر بروف، إسطنبول، ٢٠٠١م.
٢٤. وهبة بن مصطفى الزحلي ، التفسير الوسيط، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٨هـ.